**المحاضرة السابعة**

**المناهج الحديثة في دراسة اللغة**

أخذت الدراسات اللغوية الغربية تخطو خطوات واسعة مع مطلع القرن التاسع عشر، فأنجزت في سنين مالم تنجزه في قرون . ولم يقتصر تقدم هذه الدراسات على شكل واحد من أشكال الثراء و العطاء ، و هو غزارة الدراسات و تنوع الموضوعات ، بل جاوز الغزارة في المدروس إلى التعدد في المدارس ، و الكثرة في المقدار إلى التجديد في المناهج .

وربما كان اكتشاف اللغة السنسكريتية ، و الكشف عن صلتها الوثيقة باللغتين الأوربيتين : اليونانية و اللاتينية المُنبَثَق الذي انبثقت منه هذه الدراسات . وقد كان مقدراً لمثل هذه الدراسات الضاربة إلى ثلاث لغات قديمة بنسب أن تنهج منهجاً تاريخياً أو منهجاً يجمع بين المقارنة و التاريخ . غير أن أرباب هذه الدراسات نهجوا فيما درسوا ثلاثة مناهج ، وهي : المنهج المقارن ، و المنهج الوصفي ، و المنهج التاريخي .

**أولاً: المنهج المقارن :**

إن الأساس الذي يقوم عليه المنهج المقارن هو الموازنة بين الظواهر اللغوية في طائفة من اللغات لاستنباط خواصها المشتركة ، و للوقوف على وجوه الاتفاق و الخلاف في عواملها و نتائجها ، و للوصول من وراء هذا كله إلى كشف القوانين العامة الخاضعة لها في مختلف مظاهرها .ومن خلال هذا التعريف يمكن أن نستنبط أموراً مهمة تضبط هذا المنهج ، ومن هذه الأمور ما يأتي :

أولاً ـ إن الموازنة لا تعقد بين لغتين تنتميان إلى أسرتين مختلفتين كالعربية السامية ، و الإيطالية اللاتينية . و إنما تعقد بين لغتين تجمعهما وحدة الأصل كالعربية والعبرية الساميتين و الإيطالية والفرنسية اللاتينيتين .

ثانياً ـ إن الموازنة لا تعقد بين الظواهر اللغوية التي تطورت حتى أبلغها التطور مرحلة من الاختلاف بلغت حد التنافر ، بل تعقد بين الظواهر أو الصيغ القديمة المتحدرة من اللغة الأُم التي انجبت اللغتين .

ثالثها ـ إن الغرض من الموازنة استنباط الخواص المشتركة ، وهذه الخواص أعمق من استعارة المفردات . فالعربية أعارت اللغات الأخرى كالفارسية و التركية كثيراً من المفردات ، و لكنها لم تعر هذه اللغات أصواتها و صيغها و أساليبها في بناء التراكيب ولهذا لا جدوى من مقارنة العربية بهذه اللغات غير السامية .

رابعها ـ إن الغرض من المقارنة الوصول إلى أوجه الشبه و أوجه الاختلاف بين اللغتين .

و إذا ما حاول الدارس إظهار جدوى المنهج المقارن فإن المقارنة بين لغتين متحدرتين من أصل سامي أدل على بيان ذلك ؛ لأن الأسرة السامية أقرب إلى أفهامنا ، وقد أثبت علماؤنا أوجه الشبه بين هذه اللغات ، قال الخليل بن أحمد ( ت175 هـ ) : (( وكنعان بن سام بن نوح ينسب إليه الكنعانيون ، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية )) . و وضح ابن حزم الأندلسي ( ت 456هـ ) صلة العربية بالعبرية و السريانية توضيحاً علمياً ، يدل على إلمامه باللغات السامية ، و على إدراكه اتفاقها في الأصول و اختلافها في الفروع ، و ينمّ على فهمه عوامل التطور المؤثرة في توحّد اللغات و تفرقها ، فقال : (( من تدبر العربية والعبرانية و السريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من تبدل ألفاظ الناس على طول الأزمان و اختلاف البلدان و مجاورة الأمم ، و أنها لغة واحدة في الأصل )) .

و قد استطاع المستشرقون و الباحثون العرب أن يكتشفوا مجموعة من أوجه الشبه بين الساميات ، يمكن إيجازها بما يأتي :

1ــ اللغات السامية قليلة الاحتفال بحروف المد ( أ ، و ، ي ) ولهذا أضافت الحركات إلى الرسم .

2 ــ أغلب ألفاظها مشتقة من جذور ثلاثية ، و معظم أسمائها متحدرة من الأفعال خلافاً لرأي البصريين ، أي : أصل المشتقات في الساميات الفعل ، و بذلك يقول الكوفيون .

3ــ الساميات متشابهة في الضمائر ، و في أسلوب اتصال الضمائر بالأفعال و الأسماء و الحروف فضمائر الرفع العربية : أنا ، أنتَ ، أنتِ ، هو ، هي ، نحن ، أنتم ، أنتن ، هم ، هن . يقابلها في العبرية : أني ، أنَّا ، أتْ ، هُوُ ، هِي ، نحنو ، أتَّمْ ، أتِّنْ ، هِمْ ، هِنْ .

4ــ الساميات متشابهة في ألفاظ العدد ، فالأعداد العربية : واحد ، اثنان ، ثلاثة يقابلها في العبرية : إحادْ ، شِنايمْ ، شِلوشا ، أرْبعا ، حمشا ، شِشّا ، شِفعا ، شِمونا ، تشعا ، عَسَرا .

5ــ صياغة الأسماء المشتقة كاسم الفاعل و اسم المفعول و اسمي الزمان و المكان متشابهة .

6ــ كلتا اللغتين تتضمن حروف الإطباق و الحلق التي تفتقر إلى معظمها معظم اللغات غير السامية ( ص ، ط ، ظ ، ح ، ع ، غ ) و تتميز العربية بحرف الضاد .